العقيد الحاج لخضر ودوره في الحركة الإصلاحية والثقافية

الحمد لله القائل في فضل المجاهدين: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}

والصلاة والسلام على سيد المجاهدين وإمام الغر المحجلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنتجبين ومن سار على هديهم واهتدى بهديهم إلى يوم الحق المبين.

لماذا نحيي مثل هذه المناسبات؟

نحيي مناسبات القادة والزعماء الوطنيين والإصلاحين، وفاء لهم ولتضحياتهم، ولأخذ العبرة وتقديم القدوة للأجيال، والتعبير عن الانتماء والولاء للوطن...

بداية اعتذر من الحضور الكرام لأنني أقف أمامهم لأتكلم عن رجل ليس كالرجال ... أتكلم عن العقيد الحاج لخضر صديق العائلة وصديق الوالد رحمة الله عليهم جميعا، سافرا معا إلى فرنسا وبالضبط في مدينة "كراون" في سنة 1936 ... وبعد قيام الحرب العالمية الثانية عاد الحاج لخضر للجزائر، بينما الوالد جندته فرنسا فيمن جندت من الجزائريين للدفاع عنها، فألقي عليه القبض وسجن عند الألمان، وبعد انتهاء الحرب أطلق سراحه وعاد لأرض الوطن، وكلفه الحاج بجمع الاشتراكات للحركة الوطنية، وواصل معه النضال حتى استشهد سنة:1954.

الحضور الكرام عندما فكرت في الحديث عن هذا المجاهد البطل اعتراني التردد ... مخافة ظلم الشخص بالتهويل أو التهوين، والمبالغة أو التقطير.... ولهذا اعتذر مسبقا إذا وقعت فيما حذرت منه.

إن علاقتي بالحاج بدأت سنة 1975 حيث كنت أتردد على المسجد العتيق، الذي كان الحاج ملتزما الصلوات الخمس فيه... ولكن كنا ونحن صغار نسمع عنه حكايات تشبه الأساطير، وكثيرا ما كنا نسمع في الأفراح أغنية: " الحاج لخضر يا مول الشاش لصفر...". كما كان لي فضل النشاط معه في الجمعية الدينية لمسجد العتيق، ثم بعد ذلك في مسجد أول نوفمبر من بداية الفكرة إلى التأسيس وحتى وفاته رحمة الله عليه، حيث أصبح التواصل معه أكثر، وهنا عرفت رجلا لم يشغله الاهتمام بالسياسة عن جوانب الحياة الأخرى، سواء كانت اجتماعية أو ثقافية تربوية، وكان منطلقه في كل مواقفه إسلاميا عميقا، يصدر عن إيمان قوي وثقة بالنفس لا تعرف التردد ... لم يكن محللا سياسيا، لكن كان ذا بصيرة ترى أبعد مما يرى المحلل السياسي.. يصدق فيه قول المصطفى {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}.

العقيد الحاج لخضر رجل تتجمع فيه كإنسان أخلاق النبل والتوازن والشجاعة والصدق، وتتجمع فيه كمجاهد صفات السياسي، والإنساني والحضاري، عاش نصيرا للفقراء والمظلومين.. رغم نشأته القاسية إلا أنه لم يعرف عنه خلال نضاله ومقاومته، أنه تخاذل أو ساوم، لا يعرف المداهنة، ولا المهادنة.. زعيم وطني باعتراف الجميع حتى

الأعداء. كان وفيا لإخوانه الشهداء ثابتا على طريق الجهاد من الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلو تبديلا}.

في ذكرى هذا القائد البطل نتحدث عن نضاله وجهاده، و إنجازاته، وقضيته التي عاش من أجلها ولم يبدل ولم يغير حتى أتاه الأجل.

طبعا الحديث عن المزايا الشخصية الراقية لهذا المجاهد الاستثنائي قد يطول، ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله. فببركة هذا المجاهد وإخوانه الأبطال وبتضحياتهم من أجل المصلحة الكبرى للأمة والوطن، ومصلحة الناس الذين دافعوا عن كرامتهم وعن عزتهم وسيادتهم، واستقلالهم، ننعم نحن بالأمن والأمان والحرية.

الحضور الكرام إن قيمة الوطن بين الأوطان إنما تنبع من قيمة رصيدها من العلماء والمفكرين ومن الرجال والأبطال المخلصين... فالوطن الذي لا يعرف قيمة رجاله، ولا يقدر عرق عامليه، ولا يكرم أبطاله في حياتهم... يهدر قيمة الإنسان.. ويخصم الكثير من رصيده الإنساني والحضاري بين الأوطان.

نحن نتكلم عن رجل عاش وترجم أقواله إلى أعمال، فكان نموذجا لمثل عليا يمشي على الأرض.. مثل هذا الرجل نظلم أنفسنا أكثر مما نظلمه، إن لم نحترمه ولم نقدم ما أعطى للوطن وأمته بإخلاص وتجرد، نقدمه ليكون قدوة للأجيال التي تنعم اليوم بالحرية، التي كان من أحد صناعها، وهنا اقتبس هذه الفقرة من كلمة التأبين التي ألقاها البروفسور محمد خزار رحمة الله عليهم قائلا: " ... هل ودعنا بوفاة العقيد الحاج لخضر رجلا مضى أم جيلا من الأعمال الجليلة قد انقضى؟ ذلك لأن الرجل الذي ودعناه وأودعناه مثواه الأخير، إنما هو أمة في رجل بحق.. رجل نذر حياته لخدمة الحق، فأفنى شبابه وشيخوخته في الأعمال الجليلة والمآثر العظيمة..".

بعد هذ المقدمة سأحاول أن أعرض بعض المواقف التي عشتها مع الرجل والتي تنم عن حبه لوطنه والتضحية بالغالي والنفيس من أجل تحقيق الأمن والأمان والحفاظ على استقرار وطنه، فالتضحية في قاموسه ليست كلمة تقال، بل هي فعل حقيقي، لا يدخر جهدا للتقديم كل ما يملك من وقت وجهد ومال بل وحتى بالنفس، حين حمل روحه على كفه وواجه المستعمر أيام الثورة التحريرية.

من المواقف عشتها مع العقيد الحاج لخضر:

في مجال تغيير المنكر معروف عن المرحوم أنه إذا ما اقتنع بوجود فساد أو ظلم فإنه لا يتردد في التدخل حتى يغير المنكر أو ينتصر للمظلوم. ومن المفاسد التي كان السبب في إزالتها نهائيا من هذه المدينة.

غلق بؤرة الفساد بحي الزمالة:

كان في مدينة باتنة بيت للدعارة بحي الزمالة من أيام الاستعمار، في أواخر 1979 تكلمت مع بعض أعضاء اللجنة الدينية لمسجدي بن باديس والعتيق حول السعي لغلق هذا الماخور، فلقيت منهم تجاوبا بل وشجعوني على ذلك، وكنت أريد منهم أن يسعوا هم بحكم علاقاتهم مع السلطات، ولكنهم تباطؤوا فبادرت بالحديث مع العقيد الحاج لخضر فطلب مني كتابة رسائل توجه للمعنيين ،فكتبت ثلاثة عشرة رسالة موجهة للسلطات المركزية والمحلية، من

رئيس البلدية ، إلى المجلس الشعبي الولائي، مديرية الشئون الدينية، والمحافظ والوالي، فوزارة الداخلية ورئاسة الحكومة، والأمين العام للحزب ووزير الشؤون الدينية، إلخ. وأرسلتها عن طريق البريد المسجل باسم مواطني المدينة، حيث وقع عليها بعض أعضاء اللجنة الدينية لمسجد بن باديس والعتيق، وسلمت رسالة الوالي للعقيد الحاج لخضر، ...../..... فأدرج الموضوع للمناقشة في إحدى جلسات المجلس الولائي، وأخبر الوالي الحاج لخضر وطلب منه الحضور؛ لأنه علم أن هناك معارضة، وعند طرح القضية، قام بعض المدافعين عن بقاء هذا الوكر، محاولين تبرير ذلك بأن مدينة باتنة فيها ثكنات، فلو تم غلق هذا الماخور سينتشر الفساد في المدينة، على الأقل هذا المحل مر اقب تحت أنظار الدولة!؟ لا تتعجبوا فالمدافعون عن الفسق والفجور زاد عددهم – احتدم النقاش بين مؤيد ومعارض، وأخذ الحاج لخضر الكلمة، وقال لهم: نحن في الجز ائر المستقلة، وهذا الأمر يتنافى مع الدين ومع كرامة هؤلاء المواطنات، وسمعة هذه المدينة المجاهدة، فلا أجد مبررا لبقاء وكر الفساد هذا، ثم قال كلمة ينطبق عليها المثل: قطعت جهيزة قول كل خطيب. فصمت الجميع و اتخذ قرار الغلق .....

مساهماته في المجال الثقافي:

الحاج إنسان يحب العلم والعلماء ويشجع على طلب العلم وتكريم العلماء والشواهد في ذلك كثيرة، وسأحاول ذكر بعضا منها:

إنشاء مكتبات المساجد : خلال سنة 1979 كنت ألقي دروسا بعد صلاة المغرب بالتداول بين مسجدي بن باديس وعقبة، وفي إحد الدروس بمسجد عبد الحميد بن باديس تناولت موضوع الصدقة الجارية، وذكرت توريث الكتاب وركزت على المبادرة لفتح مكتبات بالمساجد، وصادف ذلك أن الحاج لخضر رحمة الله عليه كان حاضرا، وبعد يومين التقيته في مسجد العتيق فأخبرني بأنه ترك لي مبلغ ثلاثين ألف دينار جز ائري[1] عند الإمام الشيخ /عبد الحميد بوزيد رحمة الله عليه لاقتناء الكتب اتصلت بالامام فقال: بأنه سلم المبلغ لأعضاء اللجنة الدينية، فاتصلت برئيس اللجنة المرحوم التهامي صحراوي و اتفقنا أن نلتقي بالمسجد بحضور بعض أعضاء الجمعية، وطرحت الموضوع فقال بعضهم: إن المبلغ أودع في حساب الجمعية، فقلت إن الحاج قدمه وحدد مجال صرفه، ولا يجوز أن نخالف ذلك، وبعد أخذ ورد، تم الاتفاق على أن يصرف في مجاله ولكن كيف؟

ولكي تكون الأمور شفافة اقترحت عليهم أن أتولى شراء الكتب من المكتبتين "مكتبةالنهضة" و"مكتبة جطاو"، وأو افيهم بفو اتير بقيمتها ويقومون بتسديدها لدى المكتبات مباشرة دون تدخل مني، وهذا ما تم الاتفاق عليه.

اتفقت مع بعض الإخوة للقيام بهذه المهمة، فقمنا بزيارة المكتبتين لنحدد قائمة بالكتب المتوفرة والتي يمكن أن نقتنيها. وبما أن الكتاب يومها كان مدعما من قبل الدولة استطعنا بهذا المبلغ أن نفتح مكتبات في خمسة مساجد: عبد الحميد بن باديس، عقبة بن نافع، مسجد العتيق وسط المدينة، والعتيق بحي كشيدة، ومسجد حي الأمير عبد القادر، كما أرسلنا بعض الكتب لمسجدي عين ياقوت وعين التوتة.

اشترينا الكتب لكن يلزمنا خز ائن لحفظها، وهنا اتصلنا بالمرحوم حسين منصوري الذي كان نجارا، فأنجز لنا تلك الخز ائن وفق المواصفات والأحجام المتفق عليها، وزعناها على المساجد المذكورة، وكلفنا شباب كل مسجد بتسييرها، دون تدخل من الأئمة في ذلك، ووضعنا نظاما للاستعارة تسير عليه جميع المكتبات، مع تحديد المدة وكان الإقبال من

[1] -هذا المبلغ وقتها له قيمة كبيرة، يكفي أن تعلم أنني كنت أستاذ ا بالمعهد التكنولوجي، راتبي الشهري يومها 1800دج.

الشباب كبيرا، ولاحقا زودنا هذه المكتبات بأشرطة سمعية وأشرطة فيديو، تحتوي على محاضرات و أناشيد، يمكن للشباب الاستفادة منها.

ترقية المركز الجامعي بباتنة إلى جامعة:

الحاج كان هو من تدخل لرقية المركز الجامعي في مدينة باتنة إلى جامعة ففي سنة 1989 قام طلبة المركز الجامعي بباتنة بإضراب مطالبين الوصاية بترقية المركز الجامعي إلى جامعة، فاجتمع بهم الحاج لخضر بأحد المدرجات بالمركز الجامعي "عبروق" وناشدهم أن يعودوا إلى الدراسة ويكتبوا مراسلة بطلباتهم وسيتولى هو نقل إنشغالاتهم للجهات الوصية وهو ما تم بالفعل. كان له دور أساسي في تشييد مطار باتنة؛ حيث اتصل بالرئيس لمين زروال وطرح عليه الموضوع، فضبطت له مصالح الرئاسة موعدا مع وزير النقل الذي حاول أن يسوف ولكن الحاج لا يقبل التسويف فلم يخرج من عنده حتى اطمأن أن الأمور إيجابية.

إكرام العلماء: وفي هذا المجال كان له فضل كبير على إقبال بعض الأساتذة المتعاونين على التدريس في هذه المؤسسة، لقد سعى مع السيد والي ولاية باتنة لتوفير سكنات لهؤلاء الأساتذة، وكذلك للأساتذة الجزائريين، ونظرا لأن أجور الأساتذة الأجانب ضعيفة وكذلك لا يسمح لهم بالتحويل، وبالتعاون مع الشهيد الدكتور الطاهر حليس، كان يجمع مبالغ مالية ويشتري بها العملة الصعبة، ويدفعها لهؤلاء الأساتذة، بل كان يشتري لهم أضاحي العيد، وحتى أنه كان يتدخل لتذليل بعض الصعوبات الإدارية التي تعترضهم، كان يرعاهم ويحن عليهم ويقول لهم : اهتموا بتعليم أبنائنا وتربيتهم.

كان بالتعاون مع الشهيد الدكتور الطاهر حليس، يستضيف الكثير من العلماء من مختلف البلاد الإسلامية. والذين عاشوا تلك المرحلة يعرفون أنه وباستشهاد الدكتور حليس، ووفاة الحاج لخضر انقطع هذا النشاط؛ بل غادر كل الأساتذة المتعاونين...

علاقته بجمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي:

وفي إطار تشجيعه لنشر الثقافة، والمساهمة في الأعمال الخيرية والاجتماعية، لابد من الكلام عن علاقة عمي الحاج بجمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي.... عند تأسيس هذه الجمعية بمسجد البشير الإبراهيمي في سنة: 1989/03/29 حضر معظم أعيان المدينة الذين باركوا هذا المولود الجديد، أذكر منهم: الشيخ عمر دردور، والشيخ الغزالي بن دعاس، والحاج لخضر، رحمة الله عليهم جميعا، وتناول هؤلاء الثلاثة الكلمة ومما قاله الحاج: "... أبارك تأسيس هذه الجمعية واعتبرها استمرارا لجهود المجاهدين ووفاء للشهداء، ورسالتهم التي ضحوا من أجلها بأرواحهم ودمائهم، كما اعتبرها مكملة لرسالة " قلعة الإسلام مسجد أول نوفمبر" وبالإخلاص والتعاون وجمع الكلمة حول خدمة الوطن والوفاء لتضحيات أبنائه المخلصين يمكنها أن تحقق أهدافها.."..

ساهم في نجاح أنشطة هذه الجمعية برعايتها معنويا وماديا أحيانا، وسأعرض نماذج من هذه الأنشطة، والتي أوقفت بعد وفاة عمي الحاج فكان آخر ملتقى تربوي وطني عقدت في مارس: 1998.

عقدت الجمعية منذ تأسيسها تسع ملتقيات تربوية وطنية، آخرها سنة 1998 كان حول: "الإدارة التربوية"، كما أصدرت الجمعية أربعة كتب تربوية، ومجلة الرواسي التربوية الثقافية التي صدر منها، ثلاثة عشرة عددا. كما أنها فتحت قسمين لتعليم القرآن الكريم، وكان لها نشاط اجتماعي واسع، لكن كل هذا توقف بعد وفاة عمي الحاج، حيث طلب منا تجديد اعتماد الجمعية وبعد تقديم الملف للولاية رفضوا أن يسلمونا وصلا، وبقيننا ننتظر إلى اليوم.

قصة بناء مسجد أول نوفمبر: عايشت الفكرة من بدايتها إلى ما بعد وفاة العقيد الحاج لخضر، روى لي الأستاذ علي بن فليس أنه في سنة 1979 اتصل به الحاج لخضر وقال له: أريد أن أنهي شراكتي مع الحاج /بلقاسم الحنفي معمل المصبرات بعنابة، فسأله عن السبب؟ فقال: في زيارتي الأخيرة للمعمل وجدت في مكتبي زجاجات بيرة فارغة! قال له الأستاذ /علي: أتشك في شريكك الحاج الحنفي، قال: لا. ولكن مادام الأمر وصل إلى هذا الحد، فلابد من إنهاء هذه الشراكة والانسحاب.

تدخل الأستاذ علي بن فليس وتولى تصفية الحساب مع الشريك، وتسلم الحاج نصيبه من الشركة نقدا، فكان أول شيء فعله هو السعي لرد القرض الذي أخذه من الدولة، كما أخذ بقية المجاهدين في ذلك الوقت. لكنه حين اتصل بالبنك اعتذروا لأنهم لا يعرفون الإجراءات، فهذه أول حالة تعرض عليهم بل وكانت آخر حالة، فطلب موعدا من الرئيس بومدين، فطرح عليه قضية إرجاع المبلغ. فقال له الرئيس: يا عمي الحاج حتى أنت تعبت كثير وقدمت لهذا الوطن من التضحيات ما لا يمكن تعويضه، فلا باس احتفظ بهذا المبلغ. فرد عليه بحزم: هذه أموال الدولة، و أنا اقترضتها، واشتغلت بها والحمد لله، واليوم لا بد من رد هذا القرض، ولهذا ارجوك أن تساعدني بالاتصال بالجهات المعنية لإنهاء هذه القضية.

اتصل السيد الرئيس بوزير المالية يومها، وطرح عليه الموضوع وأمره: أن يعطي التوجيهات اللازمة لاسترداد المبلغ، فكان بذلك المجاهد الوحيد الذي رد القرض الذي أخذه من مجموع المجاهدين الذين أخذو القروض. ومما يرويه أحد الثقات أن الرئيس هواري بومدين كان في جلسة مع بعض المجاهدين و أثناء الحديث قال لهم: لماذا لم تردوا القروض التي أخذتموها من الدولة؟ عمي الحاج لخضر الوحيد الذي رد القرض. فرد عليه أحدهم قائلا السيد الرئيس أنتم أخذتم المسئوليات ونحن أخذنا الأموال ولا داعي للمحاسبة.!؟

وفر العقيد الحاج لخضر مبلغا من أرباحه، وأراد أن يستخدمه في مجال الخير، ففكر في بناء مسجد، وطرح الفكرة في مقصورة المسجد العتيق مع الشيخ عمر دردور وبحضور بعض أعضاء الجمعية الدينية، وكنت من بينهم، ووقع نقاش، فلقي تشجيعا. ولإنجاز هذه المهمة لا بد من تكوين لجنة دينية لتقوم بهذه المهمة، وبدأ يوسع الاستشارات، وعندما نضجت الفكرة، بدأ يتصل ببعض الرجال الذين يمكنهم أن يكونوا مساعدين له، أذكر منهم الحاج عبد الجبار درغال، والأستاذ علي بن فليس، والحاج: رو ابح حسين والطبيب حمد يكن وغيرهم.

طلب مني أن أحضر له القانون الأساسي الخاص بالجمعيات الدينية، وحدد موعدا للاجتماع في مكتبه بالمخبزة التي كان يديرها، وكلفني بالاتصال بكل من الأستاذ علي بن فليس والحاج: حسين رو ابح، وتم الاجتماع في الموعد المحدد، وبعد الاطلاع على القانون الأساسي وقع الاتفاق على اختيار الأسماء التي ستكون في هذه الجمعية، على أن يكون اللقاء القادم في مسجد العتيق، وكلفني بشراء سجل للمحاضر.

ويظهر انه كلم الوالي :يوسف بومهدي رحمة الله عليه، وفي اليوم المحدد وبعد صلاة العصر التقينا ودار النقاش حول اختيار المكان المناسب لإنجاز هذا المشروع، فهناك من اقترح موقعا قرب محطة القطار بجوار البريد؛ لأنه لا يوجد مسجد في تلك المنطقة، إلا أن المكان صخري، وكذلك صغير يمكن أن يصلح لبناء مصلى صغير، و اقترح آخرون مكان الكنيسة أمام البريد المركزي، و أثناء النقاش هناك من قال يمكن أن نضيف له المساحة المقابلة للمسرح، ونضع جسرا علويا يصل بين المساحتين ويكون المسجد فوق المساحة كلها متصلة، ويستغل الطابق الأرضي للمر افق، وبعد أخذ ورد لم يتم التوصل إلى نتيجة، فتقرر عقد لقاء آخر في الأقسام الخلفية لمسجد بن باديس ووعد السيد الوالي بالحضور.

وفي هذا الاجتماع جاء الحاضرون ببعض الأفكار و أثناء النقاش تدخل السيد الوالي قائلا عمي الحاج أنت كبير ولازم تدير حاجة كبيرة تليق بمقامك وتبقى معلما مميزا في هذه المدينة المجاهدة، وتكمل بذلك الجهاد الذي بدأته بمحاربة الاستعمار، كما أن الأوراس يستحق أن يكون فيه مثل هذا المعلم المتميز.

وحتى لا نضيع الوقت يجب تأسيس جمعية دينية باسم الجمعية الدينية للمسجد الجديد شارع الجمهورية، كلفت بملء الاستمارات بأسماء أعضاء المكتب المقترح، ونقل القانون الأساسي على سجل المحاضر ليسلم للجهات الرسمية لختم صفحاته.

تم اقتراحي ضمن أعضاء المكتب لكني اعتذرت بحكم أنني أنشط في جمعيتي مسجد بن باديس ومسجد العتيق لكن اعتبروني عضوا ناشطا معكم.

كانت المادة الأولى: تؤسس الجمعية الدينية للمسجد الجديد بشارع الجمهورية. بعد تكوين الملف وتوقيع أعضاء المكتب، قدم للسلطات المحلية يوم: 1980/07/03. [2] وفي الاجتماع الموالي: 1980/10/13 تم الاتفاق على مراسلة السيد الوالي لمنح القطعة الكائنة بشارع الجمهورية للجمعية الدينية لبناء مسجد. كما طلبت الجمعية من السيد الوالي الاتصال بأحد مكاتب الدراسات لإعداد دراسة حول المكان.

وفي اجتماع 1980/10/23 أمر السيد الوالي الديوان الوطني للمواد الغذائية بإخلاء المكان الذي يشغله لانتقال إدارة أملاك الدولة " الدومين" إليه وإخلاء مكان المسجد، وحضر السيد: بوعرعور الطيب بصفته مديرا لمكتب الدراسات الولائية، وكلف بدراسة المشروع وتقديم اقتراحات. وفي اجتماع 80/11/13 اقترح السيد الوالي مكانا آخر أوسع لإنجاز المشروع، وهو حديقة الشهداء مقابل محافظة الشرطة بممرات بن بولعيد، ووقع الاتفاق على الانتقال هناك.

كلف السيد: بوعرعور لإعداد مخطط يحدد المساحة الجديدة وصورة عن الهياكل المقترحة، قاعتي صلاة رجال ونساء، ومكتبة عمومية وقاعات لتدريس القرآن وقاعة محاضرات، وإدارة لتسيير المركب، ودورات مياه ومائضة.

[2]-اعتمدت الجمعية بقرار ولائي رقم 30 مؤرخ في 1980/07/24.

وفي اجتماع 80/11/20 تدخل السيد الوالي وقال: إنني أتمنى أن يكون المسجد هو مسجد الأوراس، ولا بد أن يكون بمستوى الثورة التي انطلقت من هنا، ولهذا نحتاج إلى مساحة أكبر. وتم اقتراح الأراضي المجاورة للحي الجامعي 19 ماي أو قطعة الأرض التابعة للجيش في نهاية ممرات بن بولعيد، وأجل الحسم في الموضوع للاجتماع القادم.

يوم 80/11/27 قدم الحاج لخضر عرضا حول معاينة قطعة الأرض المجاورة للحي الجامعي 19 ماي (المطار سابقا). وقدم بوعرعور عرضا حول مساحة الأراضي وأنها لا تقل عن هكتارين وعن أهميتها بالإضافة إلى أنها تطل على شارع بسكرة، فإن هناك طريق مزدوج مبرمج ليكون في الجهة الخلفية مما يزيد من أهمية الأرض وقيمتها.

صادقت الجمعية على هذا الاقتراح بالإجماع، والتنازل عن الطلبات السابقة، وتقديم طلب جديد للحصول على الأرض، وطلب من السيد: بوعرعور تقديم مخطط أولي حول المساحة.

وهكذا أتذكر تعليق الحاج حول هذه الأرض التي كانت مطارا فرنسيا وربط بينه وبين أهداف المشروع، قائلا: من هنا كانت تنطلق الطائرات لتدمر القرى والمداشر، فسيكون هنا مسجد ينطلق منه العلماء لنشر العلم. بعد اعتماد الجمعية مباشرة تم تقديم طلب الحصول على قطعة الأرض، وثارت ثائرة بعض من يرون أنفسهم أنهم من أعيان المدينة بحكم أنهم في المجالس المنتخبة، وقالوا هذا المكان يمكن أن تبني فيه مر افق رياضية لشباب المدينة، والحقيقة غير ذلك، أرادوا تقسيمها إلى قطع للبناء في شكل تعاونيات وهذا ما تم بالنسبة لبقية أرض المطار، إذا استثنينا منها ثانوية محمد الصديق بن يحي. وحتى تمنح قطعة الأرض لا بد أن تمر في المداولة في المجلس الشعبي البلدي.

في اجتماع 80/12/04 قدم السيد: بوعرعور عرضا عن الأرض وقال: إن مساحتها هكتاران ونصف، وقدم مخططا مبسطا يرسل مع الطلب للسيد الوالي، و اتفقت الجمعية على البرنامج التالي: قاعة صلاة تتسع لخمسة آلاف مصل مغطاة وصحن يتسع لأربعة آلاف مصل مع شرفة للنساء تتسع لألفي مصلية، وقاعة محاضرات بخمسمائة مقعد، ودورات مياه ومائضة للرجال والنساء، وسكنات وظيفية، ومكاتب لإدارة المركب، وطلب من المهندسين إنهاء المخطط خلال 25 يوما.

اجتماع: 12/18/ تأجل إلى:80/12/21 حضره رئيس البلدية ليعطي رأيه حول قطعة الأرض، فقال: اعتبروها من الآن على ذمة المشروع وتبقى مداولات المجلس في الاجتماع المقبل. وتمت المداولات في 1980/12/30، تحت رقم 255 والمساحة 27580متر مربع.

مناقشة حول المخطط المبدئي، طرحت بعض ملاحظات ووعد المهندس بمراجعتها، تقدير التكاليف ومدة الإنجاز، التكاليف قدرها مكتب الدراسات يومها بـ 5 مليار سنتيم، ومدة الإنجاز 36 شهرا وفي الاجتماع 81/01/09 كلف السيد /حسين رو ابح للاتصال بالبلدية للحصول على قرار منح قطعة الأرض، وتقديم طلب رسمي لمكتب الدراسات الولائي للقيام بإعداد دراسة ومخطط المشروع، فكلفت لجنة المالية بإعداد قائمة التجار والمقاولين وغيرهم لطلب المساعدة منهم ، وإذا تعذر الحصول على القرار سيتم الاتصال بالسيد الوالي لإعطاء الأوامر للجهات المعنية للمساعدة، وعلى الشؤون الدينية إعداد قائمة بأسماء الخطباء الذين سيتولون التعريف بالمشروع ،حتى يتم الاجتماع بهم، وتعريفهم بالمشروع.

81/02/20 قدم السيد: حسين رو ابح نسخة من مستخرج المداولات حول تسليم الأرض، كما طلب السيد: بوعرعور إعطاء اسم لهذا المسجد، بالنسبة للاسم فقد نوقش الموضوع في جلستين وجاءت جملة اقتراحات، أسماء صحابة، قادة إسلاميين، مصلحين وشهداء وأجل البت في الموضوع. وتم فتح حساب بالبنك الوطني أودع فيه الحاج: 400.000 دج، من ماله الخاص، وفتح بعد ذلك حساب ثاني في الخزينة العمومية، وأكد الحاج على فتح المجال أمام جميع فئات الشعب للمشاركة كل بما يستطيع، ويشمل ذلك المواطنين على مستوى الوطن. وأذكر أن امرأة عجوزا قدمت من عين التوتة إلى مكتب الجمعية وسلمت للحاج أربعة دنانير، وقالت هذه للمسجد، وهذا ما استطعت أن أوفره، فشكرها الحاج، وعندما خرجت سأله الدكتور/ محمد خزاركيف لهذه العجوز أن تتعب من عين التوتة من أجل 4 دنانير؟ هذا المبلغ الزهيد، فرد رحمه الله: هذو فيهم البركة خير من كثير من الملايين التي يقدمها بعض المنافقين الذين لا يريدون بها وجه الله، وهنا أذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: غلب درهم ألف دينار"؛ لأن صاحب الدرهم ربما لا يملك غيره أو نصف ماله، وصاحب الألف ربما لم ينفق حتى واحد بالمائة مما يملك.

وفي اجتماع:81/03/06 جاءت الاقتراحات كالتالي: فجر الأوراس، أبطال الفتح، أبطال نوفمبر، طارق بن زياد، شهداء فاتح نوفمبر 54، عمر بن الخطاب، مصطفى بن بولعيد، أول نوفمبر...وبعد أخذ ورد اتفقت الأغلبية على الاسم الحالي: أول نوفمبر 1954.

في اجتماع: 81/03/20 قدم السيد / بوعرعور عرضا عن الدراسات المعمارية وقال بأنها انتهت، و انطلقت دراسة الخرسانة، والكهرباء، وبالنسبة للتدفئة المركزية فسيتم الاتصال بأحد المكاتب المختصة للشروع فيها، والاتصال بدار الثقافة لإعداد مجسم للمسجد.

81/04/18 حضر المهندس بوحيتم، فقال: أنه ينتظر الانتهاء من دراسة التربة حتى يستطيع دراسة الخرسانة. مكتب الدراسات التقنية والاقتصادية لولاية باتنة، وزع المهام كالتالي": الطيب بوعرعور هندسة معمارية، مسعود بوحيتم، ودرارجة الشريف الخرسانة، محمد عزوي التدفئة المركزية والتكييف.

و أثناء مناقشة المر افق، اقترح الحاج أن يكون تحت أرضية المشروع قبو (طابق أرضي)، فاعترض البعض على أساس أنه زيادة في التكاليف ولا يستفاد منه، فقال الحاج: يمكن أن يجهز ببعض الآلات لتدريب الشباب على بعض المهن.

وفي اجتماع: 81/05/02 قدم عرض من طرف بوعرعور حول سير الدراسات، وتحديد المساحة التي سيقام عليها المسجد، كما يجب إحضار آلات دقيقة لتحديد القبلة.

اجتماع: 81/05/09 طرح موضوع الذين يشغلون قطعة الأرض: الحي الجامعي، الصيدلية المركزية، الشركة الولائية، وطريقة جمع الأموال، وتقرر استغلال حفل وضع الحجر الأساس لجمع الأموال وكذلك المساجد، والمؤسسات التربوية، والزكاة، وعمال المؤسسات العامة.

الاشهار: استعمال الاشهار عبر وسائل الاعلام المختلفة، تدخل الحاج لخضر فقال: إن الحي الجامعي سنستلمه مع بداية العطلة الصيفية، وبالنسبة للصيدلية والشركة الولائية آخر أجل: 81/06/15.

تم تكليفي بإنجاز امساكية رمضان، وكذلك إعداد دليل للمسجد، وعينت لجنة خاصة بالأخير، كنت من ضمنهم، وفي اجتماع: 81/05/23 طرح مشكل مدير الشركة الولائية الذي قدم شكوى للمجلس الولائي قائلا: بأن شركته مهددة من الجمعية، وأعلن معارضته للمشروع، وإذا أرغم على الرحيل فإنه سيضطر للاستقالة.

قدمت نموذجا للإمساكية، زينت بمجسم المسجد، وأخذت المو افقة على طبعها بمعمل الغزل والنسيج على القماش.

اجتماع: 81/05/3 عرض حول الدليل بتقديم المادة المعدة للطبع في جانبها الديني الذي يحث المواطنين على المساهمة في المشروع، وفي جانبها التقني الذي يعطي تفاصيل على المشروع، من حيث الهياكل والمساحات المستغلة، والتكاليف ومدة الإنجاز، عرض حول دراسة التدفئة المركزية.

اجتماع: 81/06/20 حضره السيد الوالي ورئيس البلدية، قدم العرض النهائي حول الدليل. بوعرعور يقدم كلمة المهندسين عن الدراسات، و اقتراح الوالي: ارسال تعليمة لأئمة الولاية، ولكل رؤساء البلديات للتعريف بالمسجد، كما اقترح رئيس البلدية الاتصال بكل المسؤولين على مستوى الولاية وإشعارهم بأهمية المشروع وتجنيد المواطنين للمساهمة الفعالة فيه.

اجتماع: 81/06/27 اقترح المهندس بوعرعور أن يكون دفتر الشروط مقسما إلى ثلاثة أجزاء: المسجد + الأقسام + المر افق+ الإدارة. و اقترح الطبيب حمد يكن رحمة الله عليه، الاجتماع بالمقاولين للتشاور معهم وأخذ آرائهم حول المشروع.

اجتماع: 81/07/04 تقرير حول توزيع الامساكية التي وزعت على كل مستوى دو ائر الولاية، ما عدا دائرة أريس التي رفضت الاستلام، ولكن الحاج شعباني طلب أن يتولى تسليمها. عينت لجنة للإعداد لصلاة العيد: الحاج لخضر، درغال عبد الجبار، قادة أحمد، مبارك حايد، بوحيتم مسعود. كما كلفت لجنة الدليل بمتابعة طباعته وإعداده قبل العيد

السيد /عبد الرزاق فلاحي، معلم البخاري، عبد الحميد خزار، بوعرعور الطيب، كريم محمد، بن فليس علي، وكلفتني اللجنة بإعداد مادته وعرضها.[3]

التزم رئيس البلدية بوضع شاحنة تحت التصرف يوضع فوقها مجسم المشروع

81/07/18 اعداد بطاقات الاشتراك وطبعها بعد الاتفاق على النموذج، عرض حول الاعداد لصلاة العيد، تهيئة المصلى وتسطير الصفوف، اعداد اللافتات التي ستعلق حول المكان.

عرض لجنة الدليل قدمه الأستاذ/ فلاحي، لقد تم الاتفاق مع عمار قرفي على طبع 100.000 نسخة بمبلغ 160.000 دج وسيكون جاهزا للتوزيع يوم العيد.

[3]-بعد الموافقة سلمتها للأستاذ /عبد الحميد الوناس الذي كتبها بخط يده.

وكلفت اللجنة الأساتذة/علي بن فليس، وعبد الرزاق فلاح، وعبد الحميد خزار لاستلام مفاتيح الحي الجامعي من مدير الحي. في البداية تم استلام جناح فقط، فتحت فيه الجمعية مكاتبها، أما البقية فسلم في عهد الدكتور: محمد العباسي حين كان مديرا للجامعة، بعد أن طرح الفكرة على وزير التعليم العالي بوبكر بن بوزيد، فرد عليه قائلا: عمي الحاج لا ترفض له طلبا أبدا.

الأختام جاهزة، الحصول على وصولات استلام الأموال من الشؤون الدينية، كيفية جمع الأموال يوم العيد، رئيس البلدية التزم بتوفير حافلات لنقل العجزة من الأحياء البعيدة عن المصلى.

81/07/28 اجتماع مع اللجان الدينية لمساجد مدينة باتنة لتنظيم جمع الأموال يوم العيد، بعد التأكد من الحضور، تم توزيع الأدوار، وتحديد مهمة كل واحد يوم العيد، حتى تتم العملية في سلاسة.

81/08/02 صلاة عيد الفطر، وبعد الصلاة تم اللقاء لإحصاء الأموال التي جمعت، وواصلنا الاجتماع بعد المغرب حيث تم إحصاء المبلغ الذي جمع 352.587.20 دج، وعندما أضيف له ما جمع على مستوى الدوائر أصبح المبلغ 515.000 دج.

التعليق:

ربما أطلت في عرض الموضوع، لكن أردت أن يعرف أبناؤنا كيف كان التلاحم بين أبناء مدينة باتنة وبين المسؤولين، وكيف كانوا يجتمعون على إنجاز الأعمال الكبرى باستعمال كل الطاقات والخبرات المتوفرة كل في مجاله. {علما بأن هذا ملخص لاجتماعات كانت تدوم ساعات}.

هذا لا يعني أن الناس كلهم كانوا مو افقين على المشروع، وربما مدير الشركة الولائية الذي أشرت إليه كان نموذجا لعينة ثارت لعرقلة المشروع، وقد خرجت المعارضة من بعض أعضاء المجلس الشعبي الولائي، الذين ادعوْا بأن موقع الأرض يمكن أن يستغل في بناء بعض المؤسسات التي يستفيد منها الشباب، وكأن هذه المؤسسة لا يستفيد منها الشباب، ولكن لأن أهل الخير كانوا على كلمة واحدة، فلم يكونوا يبالون بأصوات النشاز التي تطلق هنا أو هناك، بل يعملون بجد وتفاني للصالح العام ويدفعون من أموالهم لينجزوا ما يعتقدون أنه لصالح الأمة.

يكفي أن أضرب مثالا على هذا، لقد عرضت فيما سبق أن المبلغ الذي جمع على مستوى ولاية باتنة هو 515.000 دج، بينما عند فتح حساب الجمعية أودع فيه الحاج لخضر 400.000 دج من ماله الخاص، يجب أن نضع ذلك في زمانه حتى نعلم قيمة هذا المبلغ، إنه نموذج لأولئك الذين قدموا أنفسهم لتحرير الجزائر، والذين حملوا أرواحهم على أكفهم وساروا ليضحوا بها من أجل بلادهم، رجال صادقون من الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْديلا﴾[4]

كانت تضحيات كبيرة قدمت لإنجاز هذا المركب، لا يتسع المجال لذكرها و إنما عرضت هنا البدايات، لأن أصعب الأمور بدايتها، وتوقفت عند صلاة العيد التي كانت تقام جماعة وسارت هذه السنة حتى بداية التسعينيات عندما بدأت الفتنة، وجاء من يريدون إقامة الدولة الإسلامية فكانوا السبب لإلغائها، وما أصدق قول المرحوم حسين

[4]-سورة الأحزاب، الآية 23.

زيدان: " المسلم المعاصر عدو أهدافه وعدو نفسه، فهو الذي شغله الاشتغال بالناس عن الاشتغال بنفسه." عطلوا هذه السنة لأنهم أرادوا أن يبعدوا الإمام الذي كان يخطب لأنه معين من طرف النظام، ويقدموا إمامهم، فاتخذ القرار أن يصلي كل واحد في مسجده.

الكلام عن هذا المركب يحتاج إلى مؤلف خاص، ولكن المؤكد أنه لولا الحاج لخضر (رحمه الله) ما كا ن ليكون، فالله سخره وسخر من حوله مجموعة من الرجال، وطبق في إنجازها أساليب كانت تعتمد أيام الحركة الوطنية و أثناء الثورة التحريرية، فقد قسمت أحياء المدينة وكلف كل ثلاثة من أعضاء الجمعية بالمرور على التجار شهريا لجمع الاشتراكات وطبعت لذلك بطاقات خاصة للتجار والأفراد، والموظفين وحتى طلاب الجامعات والمؤسسات التربوية، حيث أنشئت في كل مؤسسة لجنة تتولى هذه المهمة، هذا إلى جانب الطرق التقليدية كالجمع في المساجد و أيام الجمع والأعياد.

والسفر إلى كل ولايات الوطن، حيث كان الحاج لخضر يسافر مع ثلاثة أو أربعة من أعضاء الجمعية ليتصل بالوالي والمحافظ في كل ولاية ويسلمهم الدليل، ويطلب منهم الاتصال ببعض المحسنين في الولاية للمشاركة، وكان الهدف كما يقول رحمة الله عليه: " أنا نْحب كل المحسنين يشاركوا في هذا العمل الخيري."

وكانت لهذه السفريات نتائج إيجابية، حيث كانت استجابة الولايات متفاوتة، حسب الوالي والمحافظ الذي كلف بالمهمة فهناك من أعطى أهمية للموضوع فكانت مساهمة ولايته مهمة وهناك من لم يولي أهمية وربما حتى أنه لم يكلف نفسه بإشعار المواطنين للمساهمة، ولهذا وضعت اللجنة باقتراح من الحاج لوحات إشهارية تظهر مشاركة كل جهة ابتداء من الوزارات إلى الولايات والبلديات والمؤسسات الصناعية وغيرها...

أيها لحضور الكرام

رحل عنا رجل الجهادين ... وقبله كنا قد فقدنا رجل العلم الشهيد الطاهر حليس ... الرجلان لم يفارقا الحياة إلا بعد أن ورثا العلم والباقيات الصالحات... لأن كلاهما كان مجسدا ومجددا لقيم لا تستمر الحياة أو تقوى أو تثرى إلا بهما ...

إن الحياة تختار رجل العلم ورجل الإصلاح كما تختار... رجل الدين والعلم لتجسد فيه قيمها العالية وتؤكدها وتجددها. القيم التي ميزت حياة الانسان وكرامته وأمدته بطاقات الازدهار والثراء والارتقاء.

إن رجل الإصلاح وحبيب العلماء وطلاب العلم الذي نعنيه هو عمنا الحاج لخضر رحمة الله عليه.. رجل كان حبيب العلم ائتمنته الثورة على أعز وأعلى قيمها، لينقلها ويبثها في الأجيال نقية صافية مشعة، لينقلوها بدورهم إلى من بعدهم فتدوم ما دامت الحياة ... فكان أمينا في النقل بإنجاز هذه القلعة العلمية الثقافية التي نجتمع فيها اليوم ...

قد يتساءل بعض الناس: ماذا يبقى من رجل الإصلاح في دنيا الناس بعد أن يموت؟

القيم التي استودعته الثورة ومرحلة الجهاد إياها و ائتمنته عليها، والتي حملها وحملها لمن تعرضوا لإشعاعه الإيمان وحرارة روحه..

فما هي القيم الباقية من عمنا الحاج لخضر؟

هذه القيم على ما أرى ثلاث:

أولها: جهاد المعرف، بعد جهاد التحرير، وهو جهاد يعرفه رجال العلم الذين كان يعرف قدرهم ومكانتهم ... وخاصة في هذه الوقت الذي لا يقدر فيه المجتمع العلم ورجاله حق قدرهم..

إن الجميع يشهد للرجل بحبه للعلماء وطلبة العلم، كما يشهد كل من عرفه بأن الجهد الذي بذله الرجل في جهاد المعرفة لو وجه إلى أي مجال من مجالات الحياة الأخرى لكان حصاده المادي كنوزا من ذهب، ولكن جهاد المعرفة حصاده نمو العلم ونمو الحياة، وهوما كان يسعى إليه عمنا الحاج رحمة الله عليه. وأكرم من حصاد ينتهي به أشرف جهاد.

ثانيا: والقيمة الثانية الباقية من عمنا الحاج، شجاعته في قول كلمة الحق، وهي في حقيقتها ذات صلة وثيقة بجهاد المعرفة، فرجل الإصلاح حين يتعلق قلبه باللهن لا يرجو من متاع الدنيا وحصادها المادي إلا القليل، لا يتعلق بها قلبه ولا تستذله، ومن لا يهاب فيها صاحب سلطة مانح أم مانع، ولاء رجل الإصلاح، بل عبوديته لله، هو ولاء وعبودية للحقيقة وكم تكلف الشجاعة رجل الإصلاح، ولكن يرخص كل شيء أمام احترامه لذاته وإعلانه لكرامته.

ثالثا: أما القيمة الثالثة التي استطاع بصري أن يمتد ليراها من القيم الباقية من عمنا الحاج، هي صفاء القلب، قد يغضب أو يثور أو يحتد ولكن قلبه لا يحمل غلا ولا ضغينة، فسرعان ما يظهر صفاءه...

هذا معنى "الباقيات الصالحات " والتي تعني أعماله الخيرة التي قام بها في حياته مما يصلح أمور البلاد والعباد، ومن كلماته الصادقة التي تكلم بها، ليهدي ضالا أو ينصر مظلوما، أو يقوي ضعيفا، أو ليحل مشكلة استعصى حلها، أو ليأخذ حقا أو ليهدم باطلا، أو ليركز عدلا، .... وغير ذلك مما يمتد أثره في حياته وبعد مماته ...

أخيرا هذا معنى موت رجل الاصلاح.. أو على الأصح معنى بقاء قيمه بعد زوال رسمه ... فرجل الإصلاح لا يموت لأنه ورث قيم الحياة الحقيقية.. فهو الذي عاش يحرك تفكيره نحو التعمق في الدنيا ليميز بين مفرداتها الفانية، وبين مفرداتها الباقية، فكان كل جهده منصبا على ما يبقى، واعتزال ما يفنى ويزول ويتلاشى مع الظلام

وأخيرا أقول مثل ما قال حمودة بن ساعي: استضعفت يوم استشهد مصطفى بن بولعيد. أنا استضعفت يوم توفي عمي الحاج، أغلقت الجمعية التي كنت أرأسها، وشطب اسمي واسم أحد الأصدقاء، من الجمعية الدينية لمسجد أول نوفمبر، وعندما تدخل رئيس الجمعية يومها البرفسور محمد خزار، قال له الوالي: هذوا خو انجية... استسمحكم على الإطالة ....

رحم الله الحاج وأسكنه فسيح جنانه وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.